خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢١ من جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ / ١٠ من نيسان ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

ورد في الحديث الصحيح، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله، فقال: ((إنما أخاف ما يُفتح عليكم بعدي من زهرة الدنيا وزينتها)) فقال رجل: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ، فقيل للرجل: ما شأنك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك؟ فرأينا أنه ينزل عليه الوحي، فمسح عنه الرُّحَضَاء -العرق الذي يتصبب منه عند نزول الوحي-، فقال: أين السائل؟ -وكأنه حَمِدَه- فقال: ((إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما يُنبت الربيع ما يَقتل أو يُلم إلا آكلة الخضراء، حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس، فسلطت وبالت وارتفعت)) معنى هذا الحديث أن الدابة قد يُغريها الزرع الزاهر، فلا تزال تلتهم منه حتى تُصاب بالتخمة، فإما أهلكها الشره، وإما قاربت الهلاك لكثرة ما تناولت، لقد خشي النبي ﷺ أن تنغمس أمته في الترف، فتصرفها شهوات الدنيا عن رسالتها، وتتهاوى بها في موارد الردى، وذلك لأن طلاب الدنيا الذين انغمسوا في فتنتها وذاقوا حلاوتها قلما يَنهضون إلى نصرة حق أو دفاع عن عقيدة أو تَضحية من أجل مبدأ كريم.

إن المال نعمة من الله عليك إذا سخرته في إسعاد نفسك وإسعاد الآخرين، ولم يَكن عَيب قَارون أن كان رجلاً ذا مال وجاه، ولا عَيب الذين تمنوا مكانه أن طلبوا المال والجاه، إنما عَيب قارون ومن يسير سيره أنهم توسلوا بالمال والجاه للبغي والسطو وإفساد العباد وإشقاء البلاد، وهذه جرائم يجب استئصالها ومصادرة أسبابها، وهؤلاء المتكبرون المتجبرون المفسدون، يَنبتون من صميم الطبقات الكادحة، فإذا نمت دوحتهم وعظمت شوكتهم لم يَلبث النسيان الذي أَدرك أبانا آدم فأخرجه من الجنة أن يُدركهم الآخرين، فإذا بهم يَتنكرون لأصلهم القديم، ألم ترى إلى نابليون كيف بَدأ فقيراً ثم تَحول امبراطوراً؟ وكيف ذَبح مِليوناً من الجنود في معاركه التي أشعلها لتدعيم مجده الشخصي؟ كم تَشقى الشعوب عندما تستبد نشوة الجاه الكاذب بكبرائها؟ وكم يَحتاج هؤلاء المطمورون بكثرة المال إلى مَن يُنكس رؤوسهم ويَقلب أوضاعهم؟.

من هنا –يا سادة– نجد أنصار العدل الاجتماعي وحماة الوحي الإلهي، الذين يَستنكرون المظالم ويجتهدون في مكافحة الطغيان، ويَضعون على طرق الشر معالم الخطر حمراء، ويَنتفضون نعم ينتفضون بوجه قارون قائلين له: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] تأتي على الأمم فتراتٌ تَنسى بها مثلها العليا، وتعنى بخسائس الحياة وتوافهها، ويتجه نشاطها العقلي والاجتماعي إلى اللغو واللهو، هذه الفترات كساعات الإغماء للإنسان الحي، أو كساعات الذهول للعقل المفكر، إذا طالت كانت لها عواقبها الخطيرة، بل إن أخطر ما يعتري الأمم من انتكاسات وهزائم إنما يَبدأ بهذه الفترات الطائشة، وقد أتى على الأمة عَصر بل أعصار كان ملوكها –اسمعوا يا آل سعود، واسمع أيها الملك الأردني– كان مُلوكها لا شغل لهم إلا البحث عن اللذائذ، والجري خلق الشهوات، وإشباع النزوات الدنيئة من العبث والمجون، وولدت جراثيم الانحلال باسم الأمة يومئذ، ثم مشت في دمها، ولم تزل بها حتى أوردتها سوء المصير، وكان الشعراء المرتزقون يتملقون هؤلاء الملوك، وبلغ فجور بعض الشعراء في العصر الأندلسي أنه ألف شعراً أنطق به الحمائم في أيكها، وجعل أنغامه مشابهة لهديلها، فقال:

إن الحمام بأيكها تشدو ... هل قد عهد أو قد علم أو كان... كالمعتصم والمعتضد ملكان

هكذا أنطقوا الحمام –وهو رسول السلام– بمدح أقوام كانوا حرباً على مستقبلها وعلةً أصيلةً في الهزائم المتلاحقة الشنيعة التي سحقت دولة الأندلس ومحت معالمها محواً لا نظير له في التاريخ، والمعتصم والمعتضد اللذان ورد ذكرهما في هذا المدح الفريد قد تناولهما شاعر آخر من حكماء الشعراء البصراء بأقدار الرجال وسياسات الدول، فذكرهما في معرض السخرية والازدراء فقال:

مما يُزهِّدني في أرض أندلس أوقات معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهِرِّ يحكي انتفاخاً صولت الأسد

كم يَتفطر قلبك وتتألم عندما تَجد الكذب والتملق والخيانة يخرج من أشرف وأطهر مكان على وجه الأرض من بيت الله الحرام، عندما تسمع خطيب الجمعة وهو يُؤيد عاصفة الحزم على شعب بريء أعزل ويباركها، ويَنسى أو يتناسى أولى القلبتين المسجد الأقصى الشريف، والملك المستبد يُبارك هذه الطبيعة الدنسة ويُغدق عليها، وخَطيب الجمعة في المسجد الحرام في الأسبوع الماضي كَيف اجتزأ حديث النبي ﷺ عندما قال: ((اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا)) ولم يكمل الحديث، لماذا أيها الخطيب المتفوه المتكلم لم تكمل حديث النبي ﷺ؟ لأنه فَضحكم؟ لأنه عرّاكم؟ لأنه بَين للأمة على مر التاريخ والأزمان أنكم أنتم رأس الفتنة؟ أنكم أنتم رأس الأفعى؟ فقال النبي ﷺ: ((اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا، فقال السائل: وفي نجدنا يا رسول الله؟ فسكت النبي ﷺ، قال: وفي نجدنا؟ فقال رسول الله ﷺ: في نجدكم الزلازل والصواعق، ومن نجدكم يخرج قرن الشيطان.

ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الاستبداد السياسي في الأرض لوجدنا المتملقين والمداهنين يُقيمون للأكاذيب أسواقاً رائجة من أجل قبل الحقائق وصنع الدواهي، لَقد ذَكر التاريخ وعُلماؤه أن الخليفة المنتصر بالله قَتل أباه المتوكل على الله، وتولى الحكم بعده، وهذا الخليفةُ الذي سماه الدَّجل السياسي مُنتصراً بالله تولى على العرش بدل أن يَذهب إلى السجن، ووضعه على رأسه تاج الملك بدل أن يُحال إلى القضاء العادل، وإلى هنا لا تَعني القصة إلا أن مُجرماً تَولى الحكم، ليس هذا بدعاً في تاريخ الاستبداد السياسي، ولكن الشيء الذي تتقزز له النفس أن يأتي شاعر مداح إلى هذا المنتصر بالله واسمه مُحَمَّد بن جعفر ليقول له :

رأيتك في برد النبي مُحَمَّد كبدر الدجى بين العمامة والبرد

رجل قاتل يَرتدي بُرد النبوة، ويُعتبر أمير المؤمنين ويقال فيه بدر الدجى، وفي داوين الشعر العربي مُطولات أجاد الشعر سفكها في مدح الملوك الأقدمين، يَدور جُلُّها على الكذب الصريح والجرأة على الله والخيانة للعرب والإسلام، لذلك نَدَّد القرآن –يا سادة– بموقف هذه الفئة المتعالية واعتدادها المنكر بما

تملك من متاع، واستحمق تخييرها الذي يربط مجد الدنيا وسعادة الآخرة بكثرة الأموال والأولاد، ثم استتلى يَرد عليهم شارحاً الطريق الصحيح للعظمة الإنسانية، وهو العمل الصالح والخلق الرفيع، لا البطر بما أتيح للمرء من أسباب القوة، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون﴾ [سبأ: ٣٧].

إن الكبر والغطرسة والإفساد نوع من الجرائم، يَستند إلى وجهة نظر ثابتة عند مُقترفيه، إنهم مستكبرون في أنفسهم مُحتقرون لغيرهم، لأنهم في قمة الحياة وغيرهم في سهولها، أما الأتباع الحمقى لهؤلاء السادة عن جهل وعمى فإنهم يتبرؤون منهم ومن إجرامهم وعملهم في نهاية المطاف، وقد وصف الله هذا الموقف بقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا -فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨] فهؤلاء عندما يحكم القدر بعقابهم يزداد ضغطهم على الشعوب المنهوكة، وتتكاثر من حولهم مكاثر العيش وعناصر القوة، افترى هذا دليلاً -انتبه أيها المسلم أيها العربي- افترى هذا دليلاً على أن القدر يَطوي لهم في الغيوب صفحات سارة؟ لا، إنه تسمين ذبيحة للضحية حتى تقع السكين من جسمها على شحم ولحم، وكذلك أبطأت السماء على قارون، ثم قالت كلمتها الحاسمة، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِين﴾ [القصص: ٨١] فعندما تُصاب الأمة بأمثال هؤلاء فإنها تَسقط من أول ضربة يتناولها الاستعمار الخارجي، وتلك هي علة العلل فيما أصاب الشرق أخيراً من انهيار وانحطاط.

معاشر السادة: إن المال نِعمة من الله سبحانه، يُكرم به الأفراد والجماعات والدول، وهذا المال أمانة ومسؤولية يَنبغي عليك أن تَصرفه وأن تَضعه في مواضعه وفي أماكنه التي أمرك الله أن تضعها فيه، أن تهلكه في مواطن الحق لا في مواطن الفجور، أن تهلكه في مشاريع البر والخير لا في مشاريع القتل والإجرام، ونحن اليوم -مع الاسف- نرى آل سعود بشكل خاص، نرى حكام الخليج بشكل عام، نرى شعوب الخليج بشكل عام، قد أنفقوا الأموال من أجل دمار سوريا، كم تبرعوا في مساجدهم -مع الأسف- من أجل إبادة هذا الشعب، بعلمائه ومفكريه وقياديه وعظمائه وتاريخه، كم حرضوا؟ كم أعلنوا أننا كفرة يجب أن نُقتل؟ كم حَرَّضُوا على القتل والإجرام؟ كم أنفقوا من أموال طائلة هائلة؟ هَؤلاء الحمقى والمغفلون الذين وَضعوا أموالهم من أجل قتل شعب عربي مسلم بريء، من أجل الحرب على الإسلام، من أجل إبادة العروبة والإسلام، إنهم أساؤوا لأنفسهم أكثر مما أحسنوا إليها، بل إنهم ساروا في

طريق الشيطان الذي يُوصلهم إلى عقاب الله جل جلاله، فإذا كانت آبارهم تضخ بالبترول والدولار، فإن أرضنا هنا في سورية، في اليمن الشعب الشقيق الشعب الأبي المناضل، في العراق الحبيب، فإن هؤلاء الشعوب إن أرضهم تضخ عزيمة وإصراراً وصموداً وتمسكاً في الدفاع عن الحقوق، أموالكم أيها الخليجيون كانت جحيماً عليكم، أموالكم ساقتكم إلى التدهور والكبر والغطرسة، كانت جحيماً عليكم، ها هي أدوات الإجرام بدأت تَفتك في الرياض، والتعتيم الإعلامي يَكذب، ها هي عُروشهم بدأت تتزلزل، ها هي كياناتهم بدأت تَنهار، إن الكأس الذي أشربونا منه سَيَشرَبُون منه قريباً، بل بَدأت في بلادهم مع الأسف، نحن لا نرضى حرباً ولا دماراً لأي شعب من الشعوب على الإطلاق أبداً، لكننا نبكي عندما نجد مَن يدعي أُخوتنا ومن يدعي محبتنا ومن يدعي العروبة والإسلام، كيف ذبح أبناء سوريا باسم الإسلام وتحت العروبة، كيف دمر البُنى التحتية هنا في وطني في أرضي، كيف أبكى اليتامى والأيامى، وكيف جعل الرجال يأنون في ليلهم ونهارهم يَبحثون عن أحبابهم، يَبحثون عن أولادهم الذين اختطفهم مرتزقة آل سعود، كم تَبكي القلوب –يا سادة– عندما نَجد أماً تقول: أين ولدي؟ أنا لا أعرف أين هو، كم تَئِنُّ القلوب وتبكي عندما نجد طفلاً يَقول أين أبي، كم تبكي القلوب وتئن عندما نجد جندياً من أبناء هذا الوطن يقول: إن الإجرام حرمني رؤية أهلي، إن الإجرام والعدوان السعودي والقطري والتركي بقيادة أمريكا حرمني رؤية أهلي، حرمني سنين طويلة أن أتواصل معهم، هذه أموالكم يا آل سعود، هذه أموالكم أيها القطريون، هذا تخطيطك الماكر يا أردوغان، هذا إجرامكم هو الذي فعل بنا كل هذا وأكثر من ذلك، والغلاء وزيادة الأسعار الذي يآلم المواطن اليوم، حاربتمونا بلقمة عيشنا لأننا نحب وطننا، حاربتمونا بلقمة عيشنا لأننا نفتخر بقائدنا المغوار بشار الأسد، حاربتمونا بأماننا واستقرارنا لأننا قُلنا لكم لعنة الله عليكم وعلى أموالكم، فنحن على منهجنا باقون وفي طريقنا ماضون، لن نتخلى عن منهجنا حتى نطهر أرض هذا الوطن من براثين غدركم ومكركم، وستبين لكم الأيام وستظهر كم الأيام أن السوريين هم أعظم شعب على وجه الأرض، أن السوريين هم من يُحب السلام ويدعو إلى السلام، أن السوريين في يوم الأيام ما وجهوا إليكم بندقية قتل وإجرام، أما أنتم فقد أرسلتم إلينا الصعاليك والمرتزقة والحثالة من بينكم حتى يَفتكوا بنا ويقتلوا بأطفالنا وأبنائنا، كم آلمتنا أحداث المبعوجة في ريف حماة، هذا هو جهادكم، هذا هو هدفكم، أن تدخلوا إلى البيوت وتقطعون رأس المسنين وتحرقون أجسادهم، وتحرقون عائلات كاملة بأسرها؟.

يا سلمان، أيها الملك السعودي، كيف تنام عينك، أما يُؤنبك ضميرك؟ نعم نقولها بجرأة وصراحة، لأننا لا نخشى إلا الله، لأننا نُؤمن بالله جل جلاله، أما يؤنبك ضميرك؟ كيف تنام؟ كيف تشعر بلذيذ الطعام، وأنت ترى أطفالنا في اليمن يُقتلون ويقطعون تحت نيران غدركم ومكركم؟ لماذا لم تُحاربوا في غزة عندما استصرخكم أهل غزة، لماذا لم تَنتفضوا في وجه بني صهيون عندما وقفت المرأة الغزاوية تقول: واعرباه، واعرباه، أما أنتم اليوم تتكالبون على شعب فقير بريء أعزل، وشيوخكم شيوخ الفتنة المتمشيخون يَضربون على الوتر الذي تعزفون عليه، قبح الله كذبكم، قبح الله إجرامكم، قبح الله غدركم ومكركم.

وإنني أقول أخيراً: اسمعوا يا أعداء سورية في كل زمان ومكان، سوريا لن تسقط، سورية لن تركع، سورية لن تنحني، سورية لن تخضع، لأنها صاحبة حق وقرار، وها هو "جون كيري" بعد أن قتل الآلاف من الأبرياء في سورية يَقول للقائد بشار الأسد الذي حَقن الدماء وفتح باب المصالحة على مصراعيه: أيها القائد العربي، أيها الزعيم العربي، نُريد أن نجلس معك كي نتفاوض، والنصر قريب، لكن صبراً فإن موعدكم -أيها السوريون- النصر ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

الخطبة الثانـ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّد عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.